

وإلى أن هذ الحياة هي ميدان العمل، والإنسان لا يدري متى يحل أجله، وعسى أن يكون قريباً، وعندئذ يكون الحشر، ويكون السؤال والجزاء، أمران لابد أن يحذرهما الإنسان: مسارقة الهوى، ومسارقة الأجل، وفيهما يقول الله: ((واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون)) وفي جو الأمر بالاتسجابه، وتقوية العزيمة فيما يحييهم، يرشدهم إلى اتقاء ناحية كثيراً ما تكون سبباً في عموم البلاء، ولا يقتصر شرها على من يلهب نارها، هي السكوت عن الفحشاء والمنكر يشيعها في الأمة أفراد معروفون، فتفسد الأخلاق، وتعرض الأمة لخطر يدهمها في عزتها، ويسلبها مجدها وسعادتها ((واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)) والأفراد في نظر القرآن مسئولون عن خاصة أنفسهم، ومسئولون عن أمتهم، وإن هم قصروا في أحد الجانبين، أو فيهما فقد عرضوا أنفسهم، وعرضوا أمتهم للدمار والهلاك، وتلك سنة الله ((واعلموا أن الله شديد العقاب)) ثم يشفع هذا التحذير بتذكيرهم نعمة الله عليهم حينما استجابوا له وتضامنوا في المسئولية. والحرص على إعلاء كلمة الله، وكيف نظر الله إليهم على قلتهم فكثرتهم، وضعفهم فقواهم، وخوفهم فأمنهم، وفقرتهم فأغناهم ((واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون وتلك سنة الله لا تختص بزمان دون زمان، ولا يقوم دون قوم.

النداء الرابع:

ثم يناديهم مرة ثالثة، وينبهم إلى أن مخالفة الله في أوامره – ومن أشدها إفشاء سر الأمة للأعداء – خيانة الله ولرسوله، وخيانة للأمة، وحسب الخائنين سقوطاً عند الله قول الله: ((إن الله لا يحب الخائنين)).

((يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون)) ثم يحذرهم شهوة النفس في الحرص على المال والولد، حرصاً يفوت عليهم القصد والاعتدال في تحصيل الأموال وإنفاقها، وتربية الأبناء وإسعادهم، ويزج بهم في مهاوي الفتنة والخيانة، ويعددهم إذا سلكوا في الأموال والأولاد مسلك القصد إنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم)).

النداء الخامس:

ثم يجيء النداء الخامس فيلفت النظر إلى أساس الخير كله، وهو تقوى الله في أحكامه وسنته، وإلى أن التقوى شجرة مثمرة، أعظم ثمارها الفرقان والنور الذي يبصركم بالحق، والعدل، والصلاح، والذي به تهتدون، وبه تنصرون وتسعدون، وبه تمحي السيئات، وتسد منافذ الشر والفساد، وبه تفتح لكم أبواب السماء، ويغمركم الفضل الذي لا يحد ((يأيتها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم)).